

## المرأة كما يريد لها الإسلام

للاستاذ أبو الوفا المراغى

قضية المرأة في مصر قديمة يتناول تاريخها الى أربعين سنة مضت أعنى إلى أوائل القرن العشرين . وهي قضية شغلت الكتاب والمؤلفين ورجال الدين والصحافة والرأى العام طوال هذه الحقبة . وهي قضية غريبة تستند فيها الخصومة حتى تشعل نارها ثم تهدد على أن تعود مرة أخرى أشد ما تكون اشتعالا . ولما يفصل في هذه القضية وقد يطول عرضها حتى يفصل فيها وسيكون الزمن والتطورات العالمية من عوامل التعجيل للفصل فيها . ولنا يعلم الخطوات السريعة التي قطعتها في هذا الطريق بفضل الظروف التي ولدتها الحرب العالمية الماضية . وقد كان مبعث هذه القضية سوء الحالة التي كانت عليها المرأة وما كانت تقضى به عليها التقاليد من ملازمة البيت والحرمات من الاشتراك في الشؤون العامة التي كانت وقفا على الرجل يعالجها بانفراد .

ولعلنا نذكر كيف كان المجتمع المصرى يرى أن تعلم البنات من الهنات التي يلحق عارها الأسرة كلها وقد اضطرت نظارة المعارف في وقت ما الى اغلاق بعض مدارس البنات جالاً قاليم برغم توسلها الى اجتذاب البنات اليها بوسائل شتى ولا يزال لهذه الحالة بعض الآثار المصرية وخصوصا أرياف الصعيد .

وكان مبعثها أيضا ما وصلت اليه المرأة في الأمم الغربية من الرقى وما حصلت عليه من الحقوق الاجتماعية والسياسية ، يضاف الى هذين السببين ما كان بين مصر والأمم الغربية من الاتصال العلمى والسياسى بواسطة البعثات العلمية والوفود السياسية ووفود السياحة ، فقد مهد هذا الاتصال لبعض المصريين أن يلاحظوا ويقارنوا ويفاضلوا بين المرأة المصرية وأختها الأوروبية ، وبين المجتمع المصرى والمجتمعات الأوروبية وأن يرجعوا سر هذه المفاضلة الى حالة المرأة هنا وهناك ، وقد وقف المصريون إزاء هذه القضية طائفتين طائفة الأنصار وطائفة المعارضين وقد تمثلت طائفة الأنصار في زعيمها المرحوم قاسم بك أمين فكان نجاهها الملمر وبطلها المغوار ولا تذكر النهضة النسائية إلا مقرونة باسم قاسم أمين وجهاد قاسم أمين ومن خير ما تركه قاسم أمين رمزا على جهاده وتوفيقه في هذه القضية كتابه المرأة الجديدة وتحرير المرأة ، وفي هذين الكتابين تمثلت خصومة قاسم أمين قوية جريئة ، وتمثلت طائفة المعارضين في الأستاذ فريد وجدى بك وبعض المتشددين من رجال الدين ، ومن مؤلفاته فيها " المرأة المسامة " ولهم مقالات طويلة في الصحف والمجلات ، ولقد كانت كلتا الطائفتين تسرف في خصومتها وتستعجد بالسلطات القائمة وتستغيث بالرأى العام .

ومهما يكن من شيء فقد نجحت المرأة في قضيتها وحصلت على حقوق كثيرة وصار مالوفا ما كان يعتبر منها شاذا غربيا. سافرت المرأة وكان حجابها كثيفا. تعلمت وكان تعليمها غربيا. وعرفت المنابر والصحف كاتبة وخطيبة. وحصلت على أعلى الشهادات. وزاغت في الوظائف العامة وفي الأعمال الحرة. وشاركت الرجل أو بعبارة أدق كادت تنفرد بإدارة البيت وتدير العيش وتربية الأبناء، ولها رأيها في مستقبلها وزيتها ونهجها ورياضتها وهي شديدة الحرص على احترامه والدفاع وأصبح لها النفوذ الأدبي والسياسي وصار لها هيئات تمثلها وتعبر عن رغباتها، وتسعى في تحقيقها.

نجحت المرأة في قضيتها وكسبت هذه الحقوق وغيرها وهل نجح المجتمع بنجاحها وهل أفاد منها كما أفادت منه لذلك حديث خاص وفي هذا المعترك المتجدد حول هذه القضية ينبغي أن يذكر هؤلاء الخصوم بموقف الشريعة الإسلامية منها وعندنا أن موقف الشريعة الصريح مجردا عن التأويل والتعصب والوهوى فيه الرضا لهؤلاء إن كانوا منصفين.

ولاشك أن الشريعة الإسلامية أعلنت من قدر المرأة ما لم تعلمه شريعة سماوية أخرى ولا قانون وضعي وزفت مكاتبا وأحلتها محل اللائق بها كأنسان يحس ويشعر له حقوق يتمتع بها وعليه واجبات يؤديها ويمتحنها من الحقوق ما لم تمنحها شريعة ولا قانون وسأوتها بالرجل إلا فيما تآباه طبيعتها وتقتصر عنه بفطرتها، قال تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إنما النساء شقائق الرجال. وقد تعبدنا الله بالتكاليف وشرفها بالخطاب كما تعبد الرجل وشرفه ووعدنا بالثبوت والحياة الطيبة (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقد أنكرت عليها بعض القوانين الرومانية إنسانيتها وأنكرت عليها أخرى حرمتها وأدبرت شعورها. تذكر كتب التاريخ أنه قد اجتمع في رومية مجمع كبير في القرن السابع وبحث في شؤون المرأة فقرر أنها كائن لا نفس له وأنها إن تريت الحياة الأنثوية لهذه الأمة وأنها رجس يجب ألا تأكل اللحم وألا تضحك بل ولا أن تتكلم وعليها أن تمضي جميع أوقاتها في الصلاة والعبادة والخدسة ولأجل أن يمنعوا الكلام جعلوا على فمها قفلا فكانت المرأة من أعلى الأسر وأدناها تسير في الطرقات وفي فمها قفل وتروح وتغدو في دارها وفي فمها قفل.

وهذا غير العقوبات البدنية التي كانت تعرض لها المرأة باعتبار أنها أداة الإغواء وآلة التسويل ويستخدمها الشيطان لإفساد القلوب.

وكانت تضعها التقاليد العربية موضع البهائم تورث مع ماشية زوجها وتجبر على الفسق والفيجور وفي القرآن الكريم (ولا تتركهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتنوا عرض الحياة الدنيا) وكان العربي يستخذي لولادتها (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون)

هذا مكان المرأة من بعض التوازن والتقاليد ، وذلك مكانها من الشريعة الإسلامية .  
ومنه نعرف كيف أعزت الشريعة الإسلامية المرأة وأخذت بيدها وجعلتها ركنا في كيان  
المجتمع الانساني ، تشترك مع الرجل اشتراكا صحيحا في تهذيبه والنهوض به في مدارج الرفعة  
ومنازل الكمال .

والإسلام الذي أخذ بيد المرأة فانزلها مواطن الكرامة وصحح وضعها في الجماعة الإنسانية  
يريدنا حيث وضعها وفي الحدود التي رسمها متمتعة بحقوقها قائمة على واجباتها فتعلم من العلم  
ما شاءت مما يصلحها في دينها ودنياها ويصبرها بشؤون عاجلتها وأخرها وهو لا يندبها الى  
العلم بل يفرضه عليها فرضا ( طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ) وهو لا يقصرها على  
لون منه دون لون ، وكثيرا ما جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلمة وكان يتخولها  
بالحكمة والموعظة وطلبت منه أن يجعل لها يوما خاصا ليعلمها وأجابها الى طلبها . وعن أبي  
سعيد الخدري رضى الله عنه قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا  
يوما من نفسك توعدن يوما لنتعلم فيه فوعظهن وأمرهن . وعن عائشة رضى الله عنها  
( نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين ) وفضلها في تعلم الدين وحفظ  
الحديث وروايتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفاضت به كتب التاريخ وحسب  
العالمات في الفخر بالعلم والتعليم أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها الذى يقول فيها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ( يعنى عائشة ) وهناك مؤلفات خاصة  
بالروايات لتحدث عن رسول الله والمرأة في أشد الحاجة الى التعليم وبخاصة النعيم الذى  
يتصل بوظيفتها في الحياة كوالدة ومربية ومدبرة لبيت ، وهل هناك مجال للجدل في حاجة  
المرأة الى تعليم شئ من علوم الصحة والاقتصاد وتدير المنزل لتكون قادرة على القيام بما هيئته  
لها الطبيعية وظروف الحياة .

وفرض لها الاسلام نصيبا في الميراث وأباح لها أن تملك ما تستطيع من المال بسائر  
أنواع التملك وتثمره بالمشروع من طرق الاستغلال ورشحتها للوظائف العامة ان توافرت لها  
الكفاية كما رشح الرجل حتى باب القضاء وهو أخطر الوظائف قد فتحه أمامها إلا أنه أخرج  
من اختصاصها بعض المواد وحرمتها من الحكومة فيها وجعل لها أن تساهم في الدفاع عن الأمة  
وترافق الجيوش مواسية مداوية مطعمة ساقية . وفي صحيح مسلم عن أم عطية ( غزوت مع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وكنت أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى  
الجرحى وأقوم على المرضى ) ولها أن تؤمن المستامن وتجير الخائف . وعن أم هانئ قالت أجرت  
رجلا من أحمأى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أجرتنا من أجزت ) ولها على زوجها حسن  
العشرة والاتفاق بالمعروف ( وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل  
الله فيه خيرا كثيرا ) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا

وخياركم خياركم لأهلته وأنا خيركم لأهلي وما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم ( وفي خطبة الوداع ) ( إلا أن حثتم عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن ) .

ومن لطيف ما نهجه الإسلام في حسن المعاشرة . ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ( يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم وليكن سلامك بركة عليك وعلى أهلك ) وعن ابن عباس و ( اني لا تزين لامرأتى كما أحب أن تزين لي ) .

ولها رأيها في تزويجها وليس لوليها أن يعدوا أذنها ويقصرها على من لا تريد إن كانت رشيدة . وفي النسائي عن عائشة رضی الله عنها ( إن فتاة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبي زوجني من ابن أخيه يرفع بي خسيسته وأنا كارهة فارسل النبي الى أبيها بخاء بفعل الأمر اليها فقالت يا رسول الله اني قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء ) .

وحاط سيرتها بسياج التوقير والاحترام ولمن الخسائض فيها في الدنيا والآخرة ( إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ) .

جعل الإسلام للمرأة هذه الحقوق وجعل عليها بإزائها واجبات وليس هناك حق إلا ويقابله واجب وواجبات المرأة كثيرة وخطرة فواجبات نحو ربها وواجبات نحو بناتها وواجبات نحو زوجها وواجبات نحو الجماعة ، فواجباتها نحو ربها أن تطيعه فيما أمر به ونهى عنه فتصلي وتصوم وتركي إن أسرت وتحتج إن استطاعت وتجنب الدس والسخرية وتتبع العورات وتلقط الأخبار والدخول فيما لا يعني ، وإغراء الرجال بها ولكن كثيرا من النساء قد فرطن في هذه الواجبات حتى ليخال لنا من حالهن أنهن يحسبن أن هذه الواجبات إنما تعبد بها الرجال دونهن أو إنهن إنما يتعبدن بها إذا صرن الى الكهولة ودلفن الى النهاية أما في ميعة الشباب وريمان الصبا فلا عليهن أن تحففن منها قضاء لداعي اللهو والمناع ، وأن كثيرا من الرجال يعانون في رياضة أزواجهم نحو هذه الواجبات ليرءوا من مسئولية التقصير ولما يوقفون الى هذه الغاية ، وواجبات المرأة نحو زوجها أن تطيعه إلا فيما نهى الله وأن تقف عند رأيه وتحترمه وتحافظ على ماله فلا تتصرف إلا بإذنه وتحرص على سمعته فتسمو بها عن تناول الألسن ومواطن الشبهات وتتعاون هي وزوجها على تحمل أعباء العيش وأنقال الحياة فلا ترهقه بالمطالب ولا تقعد به عن أداء واجب وتشعره بمعنى قوله تعالى ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ( لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ) وعنه قيل يا رسول الله ، أى النساء خير . قال ( التى تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها ولا تخالفته في نفسها ولا مالها بما يكره ) وعن أبي الورد بن تمامة قال . قال على كرم الله وجهه لابن أعبد ( ألا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله وكانت من أحب أهله عليه قلت

بلى . قال : إنها جرت بالرسي حتى أثرت في يدها واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها  
وكذست البيت حتى اغبرت شيئها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بخدم فقلت لها : لو أتيت  
أباك فسألته خادما فأتته فوجدت عنده أحدانا فرجعت فأتاها من الغد فقال ما كانت  
حاجتك فسكنت فقلت أنا أحدتك يا رسول الله إنها جرت بالرسي حتى أثرت في يدها وحملت  
القربة حتى أثرت في نحرها ، فلما أن جاء الخدم أمرتها أن تأتيك لتسألك خادما يقيمها حر  
ما هي فيه فقال : اتقى الله يا فاطمة وأدى فريضة ربك واعملي عمل أهلك .

وفي خبر عن أسماء أنها سألت النبي عما ينقص النسوة عن الرجال في نواب الجمع والجماعات  
وعيادة المريض والجهاد فقال لها : إن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها  
موافقته يعدل ذلك كله .

وواجبات المرأة نحو بنيتها أن تقوم عليهم بالتربية وحسن الرعاية وتفرض فيهم بسيرتها  
وهولها الفضائل وتجنّبهم بسيرتها وقولها أيضا الرذائل . والأم المعلم الأول للطفل وللشعب .  
والأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وبقدر توفيق المرأة في إعداد الطفل بحسن التربية وتزويده بأسباب الكمال يكون توفيقها  
في خدمة الشعب وإعداده للكمال ، وفي الحديث ( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .  
والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته .

وواجبات المرأة نحو المجتمع أن تحسن التمتع بحقوقها والقيام بواجباتها التي أسلفنا  
الجديت عنها فإنها إذا وافقت إلى ذلك ساهمت في بناء مجتمع صالح يظله الوتام وهذا ما يريده  
الإسلام من المرأة فلا يريد لها إلا آخذة بحقوقها ، قائمة بواجباتها في الحدود التي رسمها  
لتعاون هي والرجل في تكوين جماعة إسلامية صالحة ، ولكن المرأة الإسلامية الآن ليست  
كما يريد الإسلام ، فقد تعدت فظلمت نفسها وزجها وأسرتها وأمها واستهانت بحقوق  
هؤلاء جميعا ملكت سبيل التقليد وأولعت بالمودات المزدولة في الزينة واللباس ، وهانت  
لديها الأخلاق الدينية والعادات القومية فنقل مكانها في الأمة وقلاها الأهل والأنصار ،  
وزهد فيها راغبوا الزواج وأعقبت الأمة مشا كل متلاحقة : فشكالة للزواج ، وأخرى  
للطلاق ، وثالثة للتبرج والاستهتار ... إلى مشا كل أخرى بمثابة الذبول لهذه المشا كل :  
كالسرقة والقتل ، وشرب الخمر ، وتبديد الأموال .

سأمت منها الجماعة الإسلامية الأولى بصالح المرأة وتقائها فصحح جسمها وقوى ركنها  
فززت وسادت وكانت قدوة للمقتدين وعبرة للمعتبرين .

أبو الوفا مصطفى المراغى  
أمين المكتبة الأزهرية